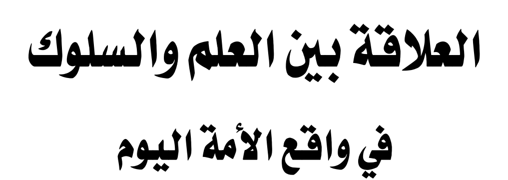


تأليف

د. هشام بن عبدالملك بن عبدالله بن محمد آل الشيخ

عضو هيئة التدريس بالمعهد العالي للقضاء

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

ح هشام بن عبدالملك بن عبدالله آل الشيخ، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل الشيخ، هشام بن عبدالملك بن عبدالله

العلاقة بين العلم والسلوك في واقع الأمة اليوم / هشام ابن عبدالملك بن عبدالله آل الشيخ-الرياض، ١٤٢٩هـ

٥١ ص ، ١٢×١٧ سم

ردمك : ١-١٠١٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١-الإسلام والعلم ٢-السلوك (علم نفس) العنوان

ديوي ٢١٤.٥ ٤٤٢٦/ ١٤٢٩

رقم الإيداع : ٤٤٢٦/ ١٤٢٩

ردمك : ١-١٠١٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفر، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ... أما بعد :

فإن البحث في العلاقة بين العلم والسلوك من أشرف البحوث وأعلاها؛ لأنه يبحث في ميراث النبوة، إذ العلم هو الذي ورَّثه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. ففي الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا

درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بظٍ وافر »[(١)].

وأخذ هذا الميراث بلا تطبيق ولا عمل يظهر على السلوك لا يوفِّرُ لصاحبه الحظ الوافر الموعود به في الحديث.

لذلك أولت الشريعة للعلم والسلوك معاً أهمية بالغة بناءً على أن العلم والسلوك قرينان متلازمان ولا يفترقان.

فكان هذا المؤلف ليبيِّن العلاقة بين العلم والسلوك في حياة الأمة الإسلامية اليوم سواءً كان على مستوى الفرد أو المجتمع.

وهذا الموضوع ذو الأهمية البالغة لا تكفيه – في

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، بابٌ في فضل العلم، برقم (٣٦٤١)، والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة برقم: (٢٦٨٢).

نظري – المؤلفات العديدة فضلاً عن أن يسد الفراغ فيه مصنفٌ مختصرٌ كهذا المصنف، ولكنه نقطة في بحر مترامي الأطراف، وكما قيل أول الغيث قطرة!!.

بقلم

د. هشام بن عبدالملك بن عبدالله بن محمد آل الشيخ

عضو هيئة التدريس بالمعهد العالي للقضاء

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض ١١٤٨٢ ص. ب ٨٠٧٦

WWW.DRALSHAIKH.COM

التمهيد

يحسن في البدء أن أبين لك أخي القارئ الكريم المعنى اللُغوي والاصطلاحي لكل من العلم والسلوك، مجتنباً الإطالة والاستطراد، فأقول مستعيناً بالله تعالى وحده:

العلم في اللغة:

قال في الصحاح [1]: العَلَم الجبل، وهو الراية، وعلمت الشيء أعلمه علماً: عرفته.

ورجل علاَّمة أي عالم جداً. ويطلق العلم في اللغة على المعرفة، والشعور، والإتقان، واليقين، يقال: عَلِمتُ الشيءَ أعلَمُهُ عِلماً عَرَفتُهُ، ويقال: ما عَلِمتُ بِخَبرِ قُدُومِهِ،

---

(١) انظر الجوهري في الصحاح (بتصرف) ٥/ ١٩٩٠.



أي: ما شَعَرتُ، ويقالُ عَلِمَ الأمر وتَعلَّمهُ: أي أتقنَه [١].

وفي الاصطلاح:

هو إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع سواء كان ذلك الشيء من المحسوسات أو الغيبيات [٢].

والسلوك في اللغة:

قال الأزهري في تهذيب اللغـة [٣]: الـسلوك مـصدر سَلَكَ طريقاً، والمسْلَك الطريق، والسَلْك إدخال الـشيء كما في قوله تعـالى: ﴿ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ ﴾ [٤].

---

(١) انظر لسان العرب، مادة (علم)، والقاموس المحيط مادة (علـم)، المصباح المنير، مادة (علم).

(٢) انظر دليل السائلين ص:٤٤٤، والكليات، للكفوي ص: ٦١٠.

(٣) انظر تهذيب اللغة، للأزهري ١٠/ ٦٢.

(٤) سورة القصص، آية (٣٢).

والسلوك في الاصطلاح:

هــو أُســلوبٌ أو طريقَــةُ تحكُــمُ تــصرُفَاتِ البــشرِ والكائناتِ الحية الأخرى[١].

ويمكن أن يقال في تعريفه: (هو مجموعة من الأنــماط الحياتية التي يعيشها الفرد مع نفسه، ومــع أسرتــه، ومــع المجتمع في كافة المجالات).

وهذا التعريف في نظري شامل لجميع أنواع السلوك إذ إن الــسلوك عــلى أقــسام، فهنــاك ســلوك اجتماعــي، وسلوك اقتصادي، وسلوك سياسي.

والسلوك الشرعي الذي يشمل كل أنــواع الــسلوك هو المقصود في هذا المصنَّف، فهو: (مجموعة من الأنــماط الحياتية التي يعيشها الفرد مع نفسه، ومــع أسرتــه، ومــع المجتمع في كافة المجالات من منظور شرعي).

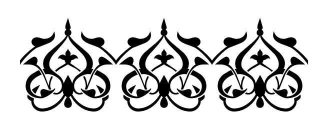
---

(١) انظر الموسوعة العربية العالمية ١٣/ ٧٥.

حيث إنه من المقرر أن الحكم على كون السلوك شرعي أو غير شرعي، معرفة العلم الصحيح الذي يقود لهذا السلوك.

ولهذا الموضوع أهمية بالغة في حياة المجتمع عموماً، إذ لو طبق المجتمع الإسلامي المعنى الشرعي للعلاقة بين العلم والسلوك، لعاد لهم النصر، والرفعة، والسيادة كما كان في الرعيل الأول.

وهذا ما سأحاول تبيانه من خلال هذه الصفحات إن شاء الله.



الفصل الأول

العلاقة بين العلم والسلوك في التشريع الإسلامي

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: العلاقة بينهما في النصوص الشرعية.

المبحث الثاني: مفهوم العلم والسلوك عند السلف.

المبحث الأول

العلاقة بين العلم والسلوك في النصوص الشرعية

جاءت النصوص القرآنية مبينة للعلاقة بين العلم والسلوك وذلك في غير موضع من كتاب الله عزَّ وجل. وكذلك زخرت السنة المطهرة بالأحاديث التي فيها بيان العلاقة بين العلم والسلوك إذ إن المراد بالسلوك العمل والتطبيق للعلم المكتسب.

وسوف أذكر بعض الآيات الواردة في هذا الموضوع، فمنها:

❖ قوله تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[1].

---

(١) سورة المجادلة، الآية (١١).

فقد ذكر الله سبحانه في هذه الآية أن أهل العلم لهم مكانة رفيعة عنده سبحانه، ثم بين سبحانه أنه مطلع عليهم، مشاهد لعملهم ولتطبيقهم لذلك العلم الذي تعلموه؛ إذ العلم بلا عمل وبال على صاحبه كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كتم عِلماً تلجم بلجام من نارٍ يوم القيامة» (1).

❖ قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ الآية (2).

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى: [باب العلم قبل القول والعمل؛ لقول الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ

---

(١) إسناده صحيح على شرط الصحيح، وأخرجه الإمام أحمد ٢/ ٢٦٣، وابن ماجه ١/ ٢٩٧.

(٢) سورة محمد، آية (١٩).

إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾، فبدأ بالعلم][1].

وفي هـذه الآية يبين الله سبحانه وتعالى أن العلم مطالب به قبل العمل؛ إذ الاستغفار عمل باللسان، وهو قولٌ والقول عمل.

أما السنة المطهرة فقد زخرت بمئات من الأحاديث، منها:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وعمل لا يرفع، وقلب لا يخشع، وقول لا يسمع»[2].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل.

(٢) إسناده صحيح على شرط مسلم، وأخرجه ابن عبدالبر في جامع العلم وفضله، ص ٢١٤، وأخرجه الإمام أحمد ٣/ ١٩٢، وابن حبان ١/ ٢٨٣-٢٨٤، ورواه المنذري في الترغيب والترهيب ١/ ١٤١.

فالنبي ﷺ كان يقول في دعائه ذلك مما يدل على أهمية ربط العلم بالعمل، وأن العمل بذلك العلم تزكية له.

❖ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نضَّر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح[1].

فبين رسول الله ﷺ ما للعالم العامل من فضل حيث دعا له ﷺ بقوله: «نضَّر الله امرءاً...» ومعناه نعَّمه وحسَّن خُلُقه وقدره. وذلك بسبب أنه بلَّغ العلم الذي سمعه من رسول الله ﷺ.

إذ كل ما يقوله ﷺ علم نافع للناس كافة، وتبليغ علم رسول الله ﷺ عمل بذلك العلم.

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٦٥٧)، والإمام أحمد ١/ ٤٣٧، وابن حبان /٢٦٨.

❖ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً من طرق الجنة ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه »[(١)].

ففي هذا الحديث يبيّن ﷺ فضل طلب العلم، وأنه الطريق إلى الجنة، وأن من التمسه فكأنما التمس الطريق إلى الجنة، وبيّن ﷺ أن الذي قصَّر في عمله لم ينفعه نسبه وكونه من أشراف الناس، إذ العلم لابد له من عمل والعلم بدون عمل وبال على صاحبه.

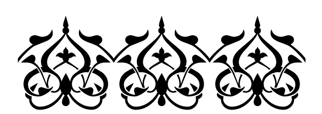
والعمل بلا علم لا يكون صحيحاً؛ إذ إن العمل لابد له من علم، وهو شرط في العمل وعمل بلا علم يوقع صاحبه في الهلاك كما أخبر سبحانه وتعالى في آخر سورة الكهف: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً

(١) إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم، رواه الحاكم ١/ ٨٨، ٨٩، وأخرجه الإمام أحمد ٢/ ٤٠٧، وابن حبان ١/ ٢٨٤.

﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴾[1].

فهذه الآية تبين أن هؤلاء القوم عملوا بلا علم بل كان عملهم بجهل فكان مصيرهم الضلال، نسأل الله السلامة والعافية[2].

فيما تقدم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بيان للعلاقة بين العلم والسلوك ولولا خشية الإطالة لذكرت أضعاف ما ذكرت، ولكن فيما ذُكِر كفاية إن شاء الله.



---

(١) سورة الكهف، آية (١٠٣-١٠٤-١٠٥).

(٢) انظر تفسير الجلالين، آخر سورة الكهف آية (١٠٣).

المبحث الثاني

مفهوم العلم والسلوك عند السلف

فيما يظهر من كلام السلف رحمهم الله أن المراد بالعلاقة بين العلم والسلوك أي العلاقة بين العلم والعمل، فقد وقفت على كلام للإمام الرباني وشيخ الإسلام الثاني العلامة ابن القيم رحمه الله.

قال رحمه الله في كتابه العظيم مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة: العلم إمام العمل وقائد له، والعمل تابع له ومؤتم به، فكل عمل لا يكون خلف العلم مقتدياً به فهو غير نافع لصاحبه بل مضرَّةٌ عليه.

كما قال بعض السلف: من عَبَدَ الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

والأعمال إنما تتفاوت في القبول والرد بحسب

موافقتها للعلم ومخالفتها له، فالعمل الموافق للعلـم هـو المقبول والمخالف له هو المردود.

فالعلم هو الميزان وهو المحك، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[1].

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ :[هو أخلص العمل وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلص العمـل وأصـوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صـواباً لم يقبـل، وإذا كان صـواباً ولم يكـن خالـصاً لم يقبـل حتـى يكـون خالصاً صـواباً، فالخـالص أن يكـون لله، والـصواب أن يكون على السنة] [2] .

وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ

(١) سورة الملك آية (٢).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ٨/ ٩٥.

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[1].

فهذا هو العمل المقبول الذي لا يقبل الله من الأعمال سواه وهو أن يكون موافقاً لسنة رسول الله ﷺ مراداً به وجه الله، ولا يمكن للعامل من الإتيان بعمل يجمع هذين الوصفين إلا بالعلم؛ فإنه إن لم يعلم ما جاء به الرسول ﷺ لم يمكنه قصده، وإن لم يعرف معبوده لم يمكنه إرادته وحده.

فلولا العلم لما كان عمله مقبولاً، فالعلم هو الدليل على الإخلاص، وهو الدليل على المتابعة.

ثم قال رحمه الله: إن العامل بلا علم كالسائر بلا دليل، ومعلوم أن عَطَبَ مثل هذا أقرب من سلامته.

وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: [من

(١) سورة الكهف، آية (١١٠).

فارق الدليل ضل السبيل ولا دليل إلا بما جاء به الرسول ﷺ] [١] .

قال الحسن رحمه الله: [العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح فاطلبوا العلم طلباً لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا تضروا بالعلم، فإن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ، ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا] [٢] أ.هـ.

وبهذا الكلام من العلامة ابن القيم رحمه الله يتبين لي أن العلاقة بين العلم والسلوك عند السلف علاقة وثيقة قوية لا انفصال لعراها ولا تهدّم لبنائها، وهي كما يقال علاقة يتمم بعضها بعضاً؛ إذ لا يصح عمل بلا علم ولا

---

(١) انظر مفتاح دار السعادة ١/ ٣٠٤.

(٢) انظر مفتاح دار السعادة ١/ ٣٠٣-٣٠٤.

ينفع علم بلا عمل، والعمل زكاة للعلم.

والسلف رحمهم الله قد عرف عنهم منذ عهد الصحابة بل وفي العهد النبوي عرف عنهم حرصهم الشديد على ربط العلم بالعمل.

قال ابن مسعود رضي الله عنه : [كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعرف معناها والعمل بها](١).

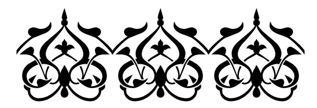
وعن أبي عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السلمي رضي الله عنه قال: [حدثنا الذين كانوا يقرئوننا: أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلِّفوها حتى يعلموا بما فيها، من العمل فتعلمنا القرآن

(١) انظر تفسير الطبري ١/ ٨٠، والحديث إسناده صحيح وهو موقوف على ابن مسعود.

والعمل جميعاً][1].

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللهُ : [لا يكون الرجل حكيماً حتى يجمع بين العلم والعمل معاً][2].

ففي هذه الآثار -وغيرها كثير- يتبين لي أن السلف رحمهم الله ضربوا أروع المثل في الربط بين العلم والعمل معاً؛ مما يوضح أن هذا أمر مقرر عندهم رحمهم الله تعالى.



(١) انظر تفسير الطبري ١/ ٨٠، والحديث إسناده صحيح متصل.

(٢) انظر مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة (١٩).

الفصل الثاني
العلاقة بين العلم والسلوك في
حياة المسلمين الآن

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تقرير الواقع [الانفصال بين العلـم
والسلوك في حياة المسلمين اليوم].

المبحث الثاني: أسباب الانفصال.

المبحث الثالث: أثر هذا الانفصال.

المبحث الأول

تقرير الواقع [الانفصال بين العلم والسلوك في حياة المسلمين اليوم]

إن الناظر إلى واقع المسلمين وحالهم في هذا العصر يجد انفصالاً واضحاً جلياً بين العلم الذي تعلموه وبين سلوكهم وأخلاقهم مع أنفسهم أولاً، ومع بعضهم ثانياً، ذلك فضلاً عن علاقتهم بربهم جل وعلا.

ففي حين نجد وسائل العلم والتعليم قد ازدهرت في هذا العصر، وأصبح العلم ميسوراً لكل شخص، فبنيت الجامعات وشُيّدت المدارس، وانتشرت المطابع وأصبحت تخرج لنا يومياً المئات بل الآلاف من الكتب، بل إن تقنيات الحاسب والأنترنت قد يسّرت كثيراً من سبل العلم، وأصبح البحث عن المعلومة ميسَّراً، بل نجد

آلافاً من الكتب على قرص صغير الحجم؛ وذلك بخلاف العصور السابقة حيث كان العلم لا ينال إلا بشق الأنفس، ولكن العلاقة بين الحاضر والماضي علاقة عكسية، ففي حين نجد أن وسائل التعليم قد زادت وانتشرت في هذا العصر ولكن في المقابل انهارت الأخلاق العامة واضمحلَّ السلوك الحسن عند عموم المسلمين.

ولا أدل على ذلك ما هو مشاهد من حال الأمة الإسلامية اليوم حيث إن كثيراً من المسلمين يتعلمون العلوم الإسلامية ولكنهم لا يعملون بذلك العلم الذي تعلموه.

وأذكر لك أخي القارئ الكريم مثالين متناقضين من واقع الإسلام اليوم، أحدها قوم يعلمون ولا يعملون، والآخر قوم يعملون ولا يعلمون!!؟

فالمثال الأول: أن كثيراً من المسلمين يعلمون أن

الرزق بيد الله وأنه النافع الضار، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(٢)]، في حين نجد أن كثيراً منهم يذبح وينذر للقبور ويدعون أصحابها من دون الله، ويطلبون كشف الضر وجلب النفع منهم، ويجعلونهم وسطاء وشفعاء فيما بينهم وبين الله، وهذا شرك بالله تعالى، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ

(١) سورة هود، آية (٦).

(٢) سورة يونس، آية (١٠٧).

إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾(١).

فهؤلاء خالفوا العلم الذي عندهم بعمل فاسد ولم يعملوا بما علموا ففصلوا بين العلم والسلوك.

المثال الثاني: التصوف وانتشاره في العالم الإسلامي، إذ أثر تأثيراً بالغاً في العزوف عن العلم بل أصبح همّ الصوفي الجاهل ترديد بعض الكلمات وفعل بعض الطقوس كهز الرأس والرقص ظناً منهم أنهم على خير، وما علموا أنهم قد أساءوا إلى الإسلام وأخطأوا السبيل.

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا

---

(١) سورة الزمر، آية (٣).

نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾[1]، **فبين سبحانه أن العمل بلا علم ضلال عن الهدى، وهو باطل، فلا وزن له ولا قيمة له عند الله تعالى يوم القيامة.**

أما من آمن وعمل صالحاً أي جمع بين العلم والعمل فالجنة من نصيبه لا يرغب الإنتقال عنها ولا التحول منها.

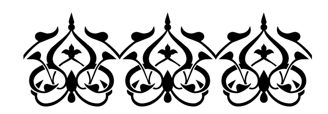
ومن الملاحظ أن أدعياء الصوفية قد انتشروا –لا كثرهم الله– في العالم الإسلامي هذه الأيام، وهم بلا شك أصحاب الفكر الذي يدعو إلى فصل العلم عن العمل؛

(١) سورة الكهف، آية (١٠٣–١٠٨).

إذ إنهم يفعلون أموراً من عند أنفسهم يتقربون بها إلى الله، والله عز وجل لا يحبها ولا يرضاها، بل حذر منها ونهى عنها، وهي أعمالٌ لا يسندها دليلٌ شرعي ولا يقرها عقل بشري.

وكم من مريدٍ للخير لم يدركه!!؟

فهذا وذاك دليل على أن العالم الإسلامي يفتقر إلى ربط العلم بالعمل (السلوك) وهو دليل على الانفصال الحادث بين العلم والسلوك في الواقع المعاصر.



المبحث الثاني

أسباب الانفصال بين العلم والسلوك

هناك أسباب كثيرةٌ أدت إلى الانفصال بين العلم والسلوك، وهي مستنتجة من حال المسلمين وواقعهم المعاصر، وأستطيع أن أوجزها فيما يلي:

أولاً: البعد عن الكتاب والسنة إذ هما المرجع الأصلي في التلقي عند المسلمين، فإذا ما ابتعد المسلمون عن الكتاب والسنة نشأ الجهل، خاصةً إذا انضاف إلى ذلك العمل به -أي العمل بالجهل- وهذا من الأسباب المؤدية إلى الفصل بين العلم والسلوك، وهو من الأمور التي عانت ولا زالت تعاني منه الأمة قديماً وحديثاً.

ثانياً: قلة العلماء العاملين الناصحين للأمة، أدى بذلك إلى وجود انفصال بين العلم والسلوك؛ لأن عامة

الناس يتبعون علماءهم، فإذا كان العلماء غير عاملين بعلمهم فإن أتباعهم سوف يقتدون بهم في ذلك، ويؤدي ذلك إلى خروج أمة عاطلة عن العمل وإن كان عندها علم.

ثالثاً: التخلف العلمي الذي صحب الأمة الإسلامية إبان استعمار الغرب لها؛ حيث حاول الغرب إبعاد المسلمين عن علومهم؛ وذلك بفتح الملحقيات الثقافية التي تخصهم، ودعوا أبناء المسلمين للالتحاق بها؛ وذلك لمسخ عقولهم، وطمس معالم الإسلام من نفوسهم، وقاموا كذلك بابتعاث الكثير من الشباب المسلم للدراسة في دول الغرب، مما أدى إلى خروج أفراد من الجيل يحمل زبالات الغرب ومنكراته الفاسدة، فأصبحوا معاول هدم في جدار الأمة، يبثون ثقافة وأفكار الغرب بين إخوانهم وذويهم وفي بلدانهم.

فهذا بلا شك من الأسباب التي أدت إلى وجود

الانفصال بين العلم والسلوك.

رابعاً: التكبر الحاصل من بعض المنتسبين للعلم في العالم الإسلامي؛ وهذا بلا شك داء عظيم ينبغي أن يبتعد عنه طلاب العلم فضلاً عن العلماء، فالمتكبر يحتقر الآخرين وينظر إليهم نظرة احتقار وازدراء وتنقص، وهذا إذا حصل من عالم فإنه لا يتصور منه نشر علمه، وهذا يؤدي إلى الفصل بين هذا العلم الذي عنده وبين سلوكه وعمله بهذا العلم[1].

---

(١) انظر السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب (٩) (بتصرف).

المبحث الثالث

أثر الانفصال بين العلم والسلوك

لا شك أن لهذا الانفصال أثر كبير في حياة الأمة الإسلامية، وهو مما تعاني منه الأمة في الوقت الحاضر؛ إذ إن الأمة بحاجة إلى علماء عاملين مطبقين لشرع الله الحكيم منافحين عنه مجاهدين في سبيله.

وهذا الأمر موجود ولكن بشكل غير كافٍ رغم أن الأمة في أمس الحاجة إليه؛ مما أدى إلى ضعف الأمة وتكالب الأعداء عليها، وما الاستعمار إلا دليل واضح على ذلك، فعندما ضعف حال الأمة الإسلامية أواخر عهد الدولة العثمانية كان من الأسباب التي أدت إلى انهيارها اعتماد حكم الدولة العثمانية على علماء غير ناصحين، فساروا بحكام الدولة العثمانية بعكس ما يأمر

به الدين وذلك باسم الدين، حتى أصبح الدين ألعوبة في أيدي أناس منتسبين للعلم من الجهال، يحلّون ويحرّمون اتباعاً لأهوائهم.

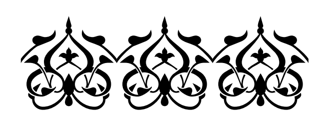
ومثال ذلك عندما أراد شخص إنشاء مطبعة في (استانبول) عاصمة الدولة العثمانية ووجد معارضة من قبل العلماء لجأ إلى السلطان وإلى حاشيته يطلب منهم أن يقنعوا هؤلاء العلماء بفائدة المطابع، فأمر السلطان مفتي الدولة العثمانية بأن يفتي بأن المطابع نعمة من الله وليست رجساً من عمل الشيطان، كما أفتى العلماء من قبل، فأفتى المفتي بجواز إنشاء مطبعة شريطة ألا تطبع القرآن ولا كتب التفسير والحديث والفقه، وهذا أدَّى إلى فشو الجهل واندراس العلم[١].

---

(١) انظر تاريخ الدولة العالية العثمانية، تأليف/ محمد فريد بك المحامي (٧٣٣).

وعلى إثر ذلك خرج جيل بعيد عن العلم وأهله، بل وبعيد عن مصادر التلقي الأصيلة القرآن والسنة، وأدى بدوره إلى الضعف التام الذي أصاب جسد الأمة الإسلامية، وإلى تكالب الأعداء وتناحرهم عليها، مما سوغ للاستعمار الغربي الدخول على العالم الإسلامي وتقسيم ثرواته والسعي فيه بالفساد، وأدخلوا على الأمة أنواعاً من الثقافات المنحرفة والدخيلة التي خدمت الغرب ويسرت لهم سبل استغلال ثروات المسلمين، حتى إنهم استطاعوا أن يجندوا أبناء المسلمين ضدَّ أهاليهم وبلدانهم.

وهذا بلا شك من أثر الانفصال الحاصل بين العلم والسلوك في حياة المسلمين.



الفصل الثالث

سبل إعادة العلاقة بين
العلم والسلوك

سُبُلُ إعَادةِ هَذِهِ العَلاَقَةِ

تقدم فيما سبق أهمية العلاقة بين العلم والسلوك، وكيف أن المجتمع المسلم في حاجة ماسة إليها، ثم بينا أن هناك انفصالاً واضحاً بين العلم والسلوك عند كثير من المسلمين في هذا العصر.

فكان لابد من إيجاد الطرق والسُبل لإعادة تلك العلاقة على ما كانت عليه في أول حالها، وهذه الطرق والوسائل يشترك فيها أفراد المجتمع الإسلامي.

فبعض هذه السُبل عائد إلى المعلم وبعضها عائد إلى المتعلم، وبعضها عائد إلى العلم الذي يُعَلَّم، وبعضها عائد إلى وسيلة التعليم، وآخرها عائد إلى المجتمع بأسره، وهذه الوسائل أستطيع أن أُوجزها في خمسة نقاط، وهي:

أولاً: أن لا يتصدر للتعليم إلا من هو أهل لذلك.

فيُيسَّر الطريق أمام طلاب العلم المتمكنين ليكونوا أساتذة في الجامعات ومرشدين في قطاعات المجتمع الأخرى.

بالإضافة إلى إبعاد أصحاب الأهواء والنزعات الشخصية عن مراكز القيادة التعليمية لأنهم يبتعدون بالعلم الذي عندهم عن الحق، مما يسبب انفصالاً بين العلم والسلوك، وهذا بسبب ميولهم وأهوائهم الشخصية.

ثانياً: إخراج جيل من الشباب يعي العلاقة بين العلم والسلوك، وذلك بتربيتهم وتنشئتهم على منهج صحيح سليم، منهج الوسطية والاعتدال، خالٍ من البدع والخرافات، بعيد عن التطرف والغلو، متبع لسلف الأمة رضوان الله عليهم، يسير معهم حيث ساروا، ويقف معهم حيث وقفوا، ويأخذ من علمهم، ويرتشف

من معينهم الصافي الذي هو في أصله ينبع من مشكاة النبوة.

ففي الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍ وافرٍ»[1].

وهذا الحديث فيه دلالة على أن العلماء أخذوا علمهم من علم الأنبياء الذي هو من عند الله تعالى.

فينبغي الاهتمام بالشباب على وجه الخصوص، وبغيرهم من أفراد المجتمع صغاراً وكباراً على وجه العموم وحثهم على الالتفافِ حول العلماء العاملين

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، بابٌ في فضل العلم، برقم (٣٦٤١)، والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة برقم: (٢٦٨٢).

ليتعلموا منهم.

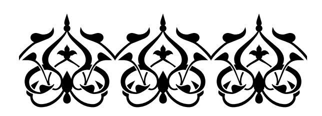
ثالثاً: البعد عن المناهج الجامدة التي تكتفي بمجرد التلقين والحفظ من دون النظر إلى العمل والسلوك، بل لابد من الربط بين الطريقتين: طريقة التلقين والحفظ، وطريقة التطبيق لذلك العلم المتلقن المحفوظ، وذلك بإيجاد مناهجٍ ومواد تكون مناسبة لذلك.

رابعاً: ربط السلوك بالعلم حين التعلم، وهذه المهمة معني بها بالدرجة الأولى المعلِّم حيث يحاول عند تعليمه لطلابه أن يربط بين العلم والسلوك ويبين أنهما نظيران لا ينفكان عن بعضهما البعض، فالعلاقة بينهما تلازمية أي يلزم من وجود أحدهما وجود الآخر.

خامساً: ربط المجتمع الإسلامي بالعلماء، وذلك بزرع حب العلماء في نفوس الناس، وتبجيلهم، واحترامهم، والرجوع إليهم عند الاختلاف؛ فإن احترامهم إنما هو احترام للعلم الذي يحملونه.

فبهذه السُبل وبغيرها نستطيع أن نعيـد العلاقـة بـين العلم والسلوك.

فسُبل إعادة العلاقة بين العمل والسلوك كثيرة جداً، وهذه النقاط الخمس هي في نظري النقاط الرئيسية التـي يرجع إليها معظم السُبل الأخرى.



الخاتمة

قد تبين لك أخي القارئ الكريم عدد من النتائج المهمة بعد قراءة الموضوع، فمنها:

١) أهمية العلم الشرعي ووجوب طلبه تلبية لأوامر الله سبحانه وأوامر رسوله ﷺ.

٢) أهمية السير على منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، والتقيد بسيرتهم، واقتفاء آثارهم، والبعد كل البعد عن المناهج الهدامة والدعوات المنحرفة، مع الحرص على الوسطية والاعتدال في الأمور كلها.

٣) وجوب الربط بين العلم والعمل (السلوك) في حياة المسلمين جميعاً، إذ لا ينفع العلم بلا عمل، ولا ينفع العمل بلا علم.

٤) وجوب حث الناس على التخلق بأخلاق القرآن الكريم والتأدب بآدابه؛ لأنه الهدى والنور وهو شفاء لما في الصدور، وكذا التخلق بأخلاق المصطفى ﷺ الذي قال الله تعالى عنه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (١).

٥) أهمية الارتباط والألفة بين المجتمع الإسلامي، فبذلك تعود الريادة والسيادة للأمة، ولا طريق إلى ذلك إلى بالعلم الشرعي المؤصل المقرون بالعمل (السلوك).

وأخيراً فهذا جهد المقل، وقد بذلت فيه كامل الطاقة والجهد ولم أدخر في ذلك وسعاً.

ومع ذلك فإنني لا أدعي أنني قد بلغت فيه رتبة الكمال أو قاربت من ذلك، فإن الكمال لله وحده، والبشر

---

(١) سورة الكهف، آية (١٠٣-١٠٨).

هم محط القصور والخطأ والعيب، ومهما يكن من شيء فحسبي أنني في كل ما أتيت لم أقصد إلا الخير ولم أرد إلا الصواب.

فإن أكن قد وفقت في ذلك فهو من الله وحده لا شريك له.

وأسأل الله تعالى العفو والغفران والرحمة والرضوان، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ويتقبله قبولاً حسناً إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو حسبي ونعم الوكيل، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع

❖ **تاريخ الدولة العثمانية**، لمحمد فريد بك المحامي، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

❖ **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٧، تحقيق : إبراهيم شمس الدين.

❖ **تفسير القرآن الكريم**، إسماعيل بن كثير، المكتبة التدمرية، الرياض، ١٤٢٢هـ.

❖ **تهذيب اللغة**، الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد، تحقيق: عبد السلام هارون، مصر، المؤسسة المصرية للتأليف و النشر.

❖ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لابي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور/ عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

❖ **جامع بيان العلم وفضله**، ابـن عبـد الـبر: أبـو عمـر يوسف بن عبد البر القرطبي، بيروت، دار الفكر.

❖ **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، لأبي عبد الله بن أحمد القرطبـي، دار إحيـاء الـتراث العـربي، بـيروت، ١٩٩٦م.

❖ **حليـة الأوليـاء و بقـات الأصفياء**، الأصـفهاني: أبـو نعيم أحمد بن عبد الله، القاهرة، دار أم القرى للطباعة و النشر.

❖ **دليل السائلين**، لأنس إسماعيل أبو داود.

❖ **السلوك الاجتماعي في الإسلام**، لحسن أيوب.

❖ **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد، المتوفى سنة ٢٧٥هـ، تحقيق: محمد فوائد عبد البـاقي، بيروت، دار الكتب العلمية.

❖ **سنن أبـي داود**، أبـو داود سـليمان بـن الأشـعث، دار الدعوة ودار سحنون، استنبول، ١٤١٣هـ.

❖ **سنن الترمذي**، أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي، دار الدعوة ودار سحنون، استنبول، ١٤١٣هـ.
❖ **الصحاح**، للجوهري: إسماعيل بن حماد، المتوفى سنة ٣٩٣هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، مصر، دار الكتاب العربي.
❖ **صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ – ١٩٩٣، تحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط.
❖ **صحيح البخاري**، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الدعوة ودار سحنون، استنبول، ١٤١٣هـ.
❖ **صحيح مسلم**، أبو الحسن مسلم بن الحجاج، دار الدعوة ودار سحنون، استنبول، ١٤١٣هـ.
❖ **القاموس المحيط**، الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب، بيروت، دار الجيل.

❖ **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، الكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، تحقيق: عدنان درويش، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤١٩هـ.

❖ **لسان العرب**، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.

❖ **مختصر منهاج القاصدين**، لابن قدامة.

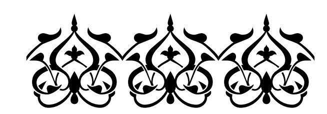
❖ **المستدرك على الصحيحين**، النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١١هـ.

❖ **مسند الإمام أحمد**، تحقيق وإشراف: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض.

❖ **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، الناشر: لمكتبة العلمية – بيروت.

❖ **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

❖ **الموسوعة العربية العالمية**، تأليف جمع من الباحثين، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤١٩هـ.



فهرس الموضوعات